

التبيان في تفسير القرآن

(347) في الطغيان، لانه إنما يتركهم ليتوبوا من ذلك ويؤمنوا لكنه بين أنه لا يعاجلهم بالعقاب في الدنيا، وهم مع ذلك لا يراعون بل يترددون في الطغيان. وقيل المعنى نتركهم في الآخرة يتحiron في جزاء طغيانهم. قوله تعالى: وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعداً أو قائماً فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا إلى ضره مسه كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون (12) آية. أخبرنا أن تعالى في هذه الآية عن قلة صبر الإنسان، إذا ناله الضر دعا ربه على سائر حالاته التي يصيبه ذلك عليها، سواء كان قائماً أو قاعداً إذا أطاقه، أو على جنبه من شدة المرض فيجتهد الدعاء لأن يهبنا له العافية. وليس غرضه بذلك نيل الثواب للآخرة. وإنما غرضه زوال ما هو فيه من الآلام، فإذا كشفنا عنه ذلك الضرر، وهب له العافية، مر معرضاً عن شكر ما وهبه له من نعمة عافية فلا يتذكر ما كان فيه من الآلام، وصار في الأعراض عن ذلك بمنزلة من لم يدعنا كشف ألمه ولا سألنا إزالة الضرر عنه الذي كان به. وقوله " كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون " قال أبو علي الجبائي: الشياطين الذين دعوا المسرفين إلى المعاصي واغواهم بها وبترك شكر نعمنا زينوا لهؤلاء المسرفين ما كانوا يعملونه من المعاصي والأعراض عن ذكر نعمه وإداء شكره. والغرض بذلك أنه ينبغي لمن وهبنا له العافية بعد المرض أن يتذكر حسن صنعنا إليه وجزيل نعمه عليه، فيشكره على ذلك ويسأله إدامة ذلك عليه. ونبه بذلك على أنه يجب عليه الصبر عند المرض وترك الجزع عند احتساب الأجر وطلب الثواب في الصبر على ذلك، وأن يعلم أننا محسن إليه بذلك، وليس بظالم له. وقال الحسن